تمهيد.

إنّ الحديث عن حمدان خوجة هو حديث عن مفكّر وفقيه ورجل سياسي فذّ عايش الأحداث واستفاد منها خدمة لوطنه وقضية شعبه، لذلك يعتبره الكثير من المؤرخين بأنه أيقونة الفكر والنضال في العصر الحديث في الجزائر الذي شهد تحولات مفصلية أثّرت على الفكر والثقافة برمتها(الحقبة العثمانية، الغزو الفرنسي) هذه الوقائع وغيرها أثّرت في فكر حمدان خوجة ووجهت كتاباته فكان بحق مثقف زمانه، لكننا نتساءل: **ما هي أهم الأفكار التي شكّلت فكر حمدان خوجة ؟؟**

1. ترجمة موجزة عن حياته.

هو حمدان بن عثمان خوجة الجزائري، ولد في مدينة الجزائر سنة 1773م، ينحدر من أسرة جزائرية عريقة كانت تمتلك أراضي شاسعة في سهول متيجة، ولها جاهًا كبيرا وقدرًا رفيعًا لدى الحكام الأتراك في الجزائر أنذاك، كان أبوه عالما من علماء المدينة وأستاذا للشريعة الإسلامية وأصول الدين ورجل سياسي شهير، التحق حمدان خوجة بمدرسة الكتاب لحفظ القرآن الكريم وفيها تعلّم اللغة العربية و مبادئ الحساب وأصول الفقه وعلم الحديث، وقد لقي اهتماماً خاصاً من أبيه الذي علّمه فنون الحكم والإدارة وبصّره بأمور السياسة وبعث فيه روح الشريعة الإسلامية.[1]

زار حمدان خوجة مدن عدة من بينها اسطنبول التي ارتحل إليها رفقة خاله، وهناك اتسعت مداركه وزاد علماً وفهما فصُقلت شخصيته العلمية، ولم يكتف بذلك بل واصل طلبه للعلم كمثقف شغوف باحث عن المعرفة، أتقن الكثير من اللغات الأجنبية كالفرنسية والاسبانية والانجليزية وهو ما ساعده على اكتساب ثقافة واسعة فتحت له المجال للإطلاع على ثقافات

[1]– محمد بن عبد الكريم: **حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته**، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ص 84 – 85.

عدة، وبالإضافة إلى اهتمامه بالعلم والتعلّم والتربية والتعليم عموماً فقد مارس كذلك التجارة فكان تاجراً بارعاً حقّق من ورائها أموالاً طائلة حتى أصبح من أغنياء قومه.[1]

عُرف باهتمامة بقضايا مجتمعه مدافعاً عن هويته العربية الإسلامية، معتزا بوطنيته الجزائرية.

ترك لنا حمدان خوجة مؤلفات عدّة شملت مجالات متعددة نذكر منها:

1- المرآة : تطرق حمدان خوجة في مؤلفه الشهير المرآة الذي نُشر سنة 1833م إلى الوطن الجزائري تاريخه، سكانه، ثقافة مواطنيه، الأحداث التي أثّرت في واقعه، فلسفة الحياة وغيرها مؤكداً أن المجتمع الجزائري مجتمع متفرد بصفات وقيم اجتماعية وثقافية وحتى أنثروبولوجية، معرجاً على أهم وأكبر عرق في شمال افريقيا عامة وفي الجزائر خاصة وهم البربر الذين بطبيعتهم يسكنون الجبال والمناطق الوعرة، أما العرق الثاني هم العرب وهم سكان التلال والسهول، مؤكدا على أن العرب استعملوا البربر كأداة عند فتح اسبانيا.[2]، وأنهما أي البربر والعرب عرقان متعايشان منذ القدم في وطن واحد هو الجزائر، تربط بينهما أواصر الأخوة والتعاون والتضامن والتصاهر حيث وحدة الدين، الوطن، الثقافة، العادات والقيم وغيرها.

2- اتحاف المنصفين والأدباء عن الاحتراس من الوباء: وقد ألفه حمدان خوجة سنة 1836م وقد دعا فيه إلى نهضة العالم الإسلامي وهذا بالأخذ بأسباب التقدّم والتحضّر وعلى رأسها العلم التجريبي ومخرجاته، من هنا يرى أنه لا مندوحة من الاستفادة من الحضارة الغربية ونهضتها الفكرية والفلسفية.

3- رسالة أسماها حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الإمكان أبدع ألفها سنة 1837م.

---

[1]- محمد عقاب: **حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي** ، الجزائر، 2007، ص 19 – 20.

[2]- حمدان خوجة: **المرآة** ، سلسلة التراث، 2005، ص 15 – 16.

4- **ترجمة لكتاب نور الإيضاح ونجاة الأرواح** للشيخ حسين الشرنبلالي الحنفي 1659م من اللغة العربية إلى التركية.

وقد ألّف مذكرة قدّمها للجنة الإفريقية سنة 1833م التي تعد الوجه الثاني لكتاب المرآة، بالإضافة إلى الرسائل الكثيرة التي تبادلها مع شخصيات متعددة.[1]

توفي حمدان خوجة سنة 1842م بالقسطنطينية اسطنبول حالياً.

2. حمدان خوجة: أفكار ومواقف.

لقد كان لحمدان خوجة العديد من الأفكار والمواقف خلال مسيرته كمفكّر وسياسي عايش الواقع محاولاً المساهمة في حلّ مشكلات مجتمعه نذكر منها:

1- لقد كان لحمدان خوجة موقفاً قوياً ثابتاً من الغزو الفرنسي للجزائر رافضاً هذا الغزو شارحاً مخاطره على الوطن والمواطن، مفنّداً كل المزاعم الفرنسية التي تسوّق للفكر الاستعماري وأطروحاته كشعارات الحضارة والحرية والثقافة لمغالطة الجزائريين.

2- اعتزازه بقوميته الجزائرية العربية الإسلامية وهذا ما شرحه في كتابه المرآة الذي يركّز فيه على العرق الجزائري كعرف مبدع مقتدر وذكي يعتمد على نفسه في الغذاء واللباس وبعض الصناعات، يقدّس العمل ويحترم الحرف والمهن، فقد أنتج المؤرخين والأدباء والمفكرين على مرّ العصور.[2]

3- من بين ما دعا إليه حمدان خوجة هو الاستثمار في الواقع لخلق بيئة للنضال والكفاح ضدّ المستعمر فاستثمر في التربية والتعليم، كما حاول التعامل مع المستعمر للحفاظ على مكاسب المواطنين من مدارس ومساجد وزوايا فقبل منصب عضو في بلدية الجزائر، كما قاد الوساطة بين أحمد باي والفرنسيين موضحاً للساسة والمثقفين الفرنسيين عدالة القضية الجزائرية.

---

[1] – حمدان بن عثمان خوجة: **مذكرات حمدان خوجة** ، نقلا عن: مجموعة من المؤلفين: **أعلام الفكر الجزائري** ، الجزائر، 2022، ص137.

[2] – مرجع سابق: حمدان خوجة: **المرآة** ، ص66.

4- تشهد مؤلفاته المختلفة وبعدة لغات أن حمدان خوجة سعى بكل جهده إلى التعريف بالقضية الجزائرية فكانت كل كتاباته تصبّ في هذا الموقف حيث عمل على فضح المستعمر وجرائمه في حق الجزائريين موضحا زيف الادعاءات الفرنسية مطالباً العالم العربي والإسلامي للمساعدة في تقرير المصير وتحقيق الاستقلال حيث راسل الحاكم العثماني أنذاك ولم يستجب.

5- موقفه الايجابي من الداي حسين الحاكم العثماني الأخير للجزائر إذ يصفه بأنبل الصفات ويثني عليه وعلى فترة حكمه، وهنا يقول: " ينتمي هذا الرجل الأمين الصدوق إلى عائلة نبيلة، وإنه يتمتع بمعارف واسعة، وقد خدم الإيالة أكثر من ثلاثين سنة...إنه رجل محسن شهم عالي الهمة..."[1]

6- حديثه عن الكراغلة وهم الأطفال من أب تركي وأم جزائرية، كما بيّن أهم ما يتميّز به الجزائريين عامة وساكنة الجزائر العاصمة خاصة حيث الشجاعة والكرم والنظافة والتضامن وكلها قيم من صميم الدين الإسلامي.

3. ملامح فكر حمدان خوجة.

تميّز فكر حمدان خوجة بعدة ميزات نذكر منها:

1- يعتبر حمدان خوجة أحد الشخصيات البارزة في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر الذي عُرف بتفتحه (فكر متفتح) على ثقافة عصره، وإدراكه لعوامل تطور وازدهار المجتمعات، ودعوته لإصلاح ومواكبة الحضارة الغربية، فقد كان متقدم على زمانه كثيراً.

2- لقد كان فكر حمدان خوجة فكر حر ايجابي منفتح يرفض العنصرية و التعصب الديني والانغلاق الفكري والتفسيرات الأسطورية البعيدة عن العقل والعلم، وما يشهد على هذا أنه عندما تفشى الوباء بين المواطنين دعا إلى الحجر الصحي والعزل المنزلي وانتقد التفسيرات الميتافيزيقية الغير المؤسسة عن علم.

[1]- مرجع سابق: حمدان بن عثمان خوجة: **مذكرات حمدان خوجة** ، ص137.

3- يعتبر فكر حمدان خوجة فكر إصلاحي بامتياز مبني على فكر وثقافة قويمة ترى أن التقدّم والتحضّر الذي وصل إليه الغرب لم يتحقق إلا عن طريق الفكر والعلم، من هنا دعا إلى التفاعل مع الآخر والاستفادة منه، إذ يحق لنا أن نقول أن حمدان خوجة سبق علماء ومصلحين مسلمين كثيرين في طرح قضية التجديد والإصلاح السياسي والاجتماعي مثل الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده وخير الدين باشا وغيرهم.[1]

الخاتمة.

نستنتج في الأخير أن حمدان خوجة قامة كبيرة من قامات الفكر والثقافة في الجزائر وخارجها يشهد له الكثير من المؤرخين بالنضال من أجل الوطن، وظّف فكره وثقافته التنويرية لخدمة قضايا أمته ومجتمعه.

[1]- مرجع سابق: مجموعة من المؤلفين: **أعلام الفكر الجزائري** ، ص87 – 89.